مجلة كلية الآداب بالوادي الجديد- مجلة علمية محكمة- إبريل ٢٠٢٤م

الأوقاف ودورها في تنمية الوعي الثقافي عصر سلاطين المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ/١٢٥٠-١٥١٧م)

أ/ ساره يوسف أحمد فاضل(*)

المستخلص:

يتناول هذا البحث دراسة الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، ودورها في تنمية الوعي الثقافي، باعتبار أن الأوقاف هي الشريان الرئيس لكل النشاطات المجتمعية في مناحي الحياة الحضارية كافة، فقد أهتم سلاطين المماليك بتشييد كثير من المساجد، والمدارس، والربط، والخوانق، والزوايا، والبيمارستانات، والمكتبات، وأوقفوا عليها الأوقاف، والتي كان لها دور فعال في النهضة الفكرية، ونظرا لأن كثرة الأوقاف بمختلف أنواعها يعود بالنفع على الأفراد بالمجتمع تبرز أهمية هذا البحث، والذي يتناول التعريف اللغوي، والاصطلاحي للأوقاف، وإلقاء الضوء على أنواع الأوقاف، وكذلك عوامل ازدهار الوقف في عصر سلاطين المماليك، وذلك في محاولة بحثية للإجابة على السؤال التالي هل ساهمت الأوقاف في تنمية الوعي الثقافي في عصر سلاطين المماليك أم لا؟.

وبذلك يقدم البحث تأصيلًا تاريخيًا لدور الأوقاف في تنمية الوعي الثقافي في عصر سلاطين المماليك، وما يترتب على ذلك من النهوض الفكري والازدهار الحضاري.

Abstract

The present research deals with the Awqaf 'religious endowments' in the Mamluk sultans' era and their role in developing cultural awareness. As endowments are considered the main artery for all societal activities in all aspects of civilized life, the Mamluk sultans have been interested in constructing many mosques, schools, rabats, gorges, zawiyas, bimaristans, and libraries. They endowed those establishments which later have played an effective role in the intellectual renaissance. As the various types of endowments are beneficial for individuals of the society, the importance of the current study is highlighted. The research thus deals with the linguistic and terminological definition of endowments. It also sheds light on the types of endowments, as well as the factors of the endowments' prosperity in the Mamluk sultans' era. This is done in an attempt to answer the following question: Did endowments contribute to the development of cultural awareness in the Mamluk sultans' era or not?

Accordingly, the research provides a historical survey for the role of endowments in developing cultural awareness in the Mamluk sultans' era, and the resulting intellectual advancement and cultural prosperity.

(*) مدرس مساعد بقسم التاريخ تخصص التاريخ والحضارة الإسلامية كلية الآداب_ جامعة الوادي الجديد

المقدمة:

يعتبر عصر سلاطين المماليك(٦٤٨- ٩٢٣هـ/١٢٥٠- ١٥١٧م) أحد أهم مراحل التاريخ الإسلامي، ومرحلة مهمة من مراحل تطور الحضارة، والنظم الإسلامية، وتعود أهمية دولة سلاطين المماليك إلى ما شهدته هذه الفترة من تطورات على الأصعدة كافة منها؛ تطورات سياسية، ودينية، واجتماعية، وثقافية، واقتصادية، حيث شهد هذا العصر تطورًا كبيرًا، وازدهارًا لمختلف الأنظمة، والأنشطة، ومن أهمها نظام الوقف.

ويعد نظام الوقف أحد الأنظمة التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية، وهو يهدف إلى تقوية الروابط بين أفراد المجتمع، وله آثاره في كثير من جوانب الحياة الاقتصادية، والاجتماعية، والدينية، والعلمية، وقد شارك الوقف في تنمية المجتمع الإسلامي، وقد أسهمت تلك الأوقاف المتنوعة في إيجاد حضارة مزدهرة ذات طابع أخلاقي، وسلوك إنساني رشيد، ومن ثم تكوين انطلاقة هائلة ذات ارتقاء فكري حر، ومستقل، كما أوجدت الأوقاف نهضة علمية، وثقافية شاملة عصر سلاطين المماليك، كان من آثارها وجود مئات الآلاف من العلماء، والباحثين، والمؤلفين، والمخترعين، ورجال الفكر ذوي الإبداعات المتنوعة في شتى المعارف الإنسانية، والتخصصات الثقافية، والعلمية، والاجتماعية.

فعندما قامت دولة سلاطين المماليك كان نظام الوقف راسخًا ومتغلغلًا في المجتمعات الإسلامية وما شهده المشرق الإسلامي من تطورات في العصر المملوكي و انعكس ذلك على نظام الوقف مما ساعد على انتشاره وازدهاره، وذلك جعل عصر سلاطين المماليك هو العصر الذهبي لازدهار نظام الأوقاف، فكل من كان لديه أرضًا، أو عقارًا، أو مالًا ثابتًا، أو منقولًا في ذلك العصر كان يتطلع لوقفه إما تقربًا إلى الله تعالى وزلفى، أو حماية للوقف من الاعتداء.

ولقد اعتنى سلاطين المماليك بالأوقاف عناية فائقة، فأكثروا منها في بلادهم، وكانت الأوقاف أحد الروافد التي يُصرف ريعها على جهات البِر المختلفة من المؤسسات الدينية، والاجتماعية، إلى جانب إقامة كثير من المنشآت التعليمية، والصحية، والمرافق العامة الأخرى، وكان الهدف الأسمى من كثرة تلك الأوقاف وخاصة الأوقاف العلمية، هي الرغبة في رفع مستوى الحياة الفكرية، والثقافية للمجتمع المملوكي، فظهر ذلك من خلال تشجيع روح العلم والثقافة لدى أفراده، والنهل من مختلف العلوم الدينية، والدنيوية، من خلال توفير السبل اللأزمة لذلك، من خلال بناء المؤسسات العلمية، والحرص على استمرارها بالوقف عليها.

أولًا: الوقف لغةً واصطلاحًا:

لغةً: وقفَهُ: حبسِه، وقَفَ داره أو أرضه على ولده؛ لأنه حَبسُ المِلك عليه، وقيل للموقوف: وقف تسمية بالمصدر، ولذا جُمع على أوقاف[١]، ومن ناحية الاصطلاح يعرف بأنه الهبة والصدقة والهدية أو العطية وهي معاني متقاربة كلها تمليك في الحياة، والفرق بين الوقف والهبة هو أن الوقف تمليك مع بقاء العين على ملك الله فلا يجوز التصرف فيها، أما الهبة فهي تمليك للعين والموهوب له الحق أن يتصرف فيها كيف يشاء، والوقف إذا مصطلح فقهي يعبر عن نوع من التصدق على سبيل الخير والإحسان، ويطلق على الصدقات والتبرعات فيها[٢] .

ثانيًا: أهداف الوقف في عصر سلاطين المماليك:

تكمن أهمية الأوقاف الإسلامية أنها للناس كافة فلا فرق فيها بين غني، ولا فقير، ولا رئيس، ولا مرؤوس، حيث أنها تؤكد على حقيقة الإسلام ذاته، غير أن تلك الأوقاف لم تكن حكرًا على المسلمين دون غيرهم[٣] .

رغم أن الواقفين قد ابتغوا الأجر والثواب عند شروعهم في إنشاء الأوقاف، إلا إنهم حرصوا على أن تلبي الأوقاف متطلبات المجتمع، لذلك ترتب على إنشائها أهمية كبرى منها؛ الأهمية الدينية التي تكمن في رغبة الانسان في الحصول على الأجر، والثواب، وأن يكون هذا العمل سببًا في مغفرة ذنبه، وعلو درجته عند ربه، لذا اشترط الفقهاء على أن يكون الوقف لجهات البر، وأعمال الخير، وكذلك الأهمية العائلية التي حرص من خلالها الواقفون على حماية مستقبل ذريتهم من بعده، وحمايتهم من العوز والفقر[٤] .

أما عن الأهمية أو الهدف العلمي فكان جليًا ظاهرًا في أوقاف المدارس التي تعلم العلوم وهذا من باب حفظ العلم من الضياع سواء أكان هذا العلم علمًا شرعيًا، أم حياتيًا فقد جنت الحضارة الإسلامية كثيرًا جدًا من هذه الأوقاف، وخاصة عصر سلاطين المماليك، فكان للأوقاف في ذلك العصر أثرًا عظيمًا في استمرار الحياة العلمية، وانتعاشها وسيرها في الطريق الصحيح، ولعل السر الأكبر الكامن وراء النهضة الفكرية يعود إليها حيث كانت المورد الأول لكل المؤسسات والفعاليات العلمية[٥] .

أما عن الأهمية الاجتماعية فتمثلت في مساعدة الفقراء والمساكين والأيتام والأرامل، فيساعدهم الوقف في مناحي حياتهم كافة، وبشأن الأهمية الصحية كان الوقف يساعد في إنشاء المستشفيات التي ترفع الحرج عن المرضى، وخاصة الفقراء ممن لا يستطيعون تحمل تكاليف العلاج فيكون الوقف سببًا في راحتهم، وسعادتهم، كما أنه لا يمكن التغافل عن الأهمية العسكرية للوقف، حيث تقوم بعض الوقفيات العامة بخدمات في المجال العسكري، فكان يخصص جزء من ريعها للمجاهدين وشراء الأسلحة والعتاد لتقوية الجيش، وكذلك مفاداة الأسرى[٦] .

ثالثا: أنواع الأوقاف في عصر سلاطين المماليك:

شهد عصر سلاطين المماليك اهتمامًا كبيرًا بالأوقاف ، حيث سعى كثير من أفراد المجتمع ممن لديهم قدرات مادية إلى إنشاء الأوقاف، وقد تباينت دوافعهم فكانت دوافع دينية، وعلمية، واقتصادية، واجتماعية، ولم يعد الوقف قاصرًا على السلاطين، والأمراء فقط، بل اتسع ليشمل العلماء، والتجار وكثير من العامة، وعلى أثر ذلك توسع عمل الأوقاف بشكل ملحوظ، وتنوعت مجالاته، وتشعبت الأغراض منها(٧) . أما عن أنواع الوقف التي انتشرت في ذلك العصر:

١/أوقاف الأحباس:

وهي أوقاف رسمية جعلت للصرف على المؤسسات الدينية، كالمساجد والزوايا والربط والمدارس، وهي في أغلبها أراضي يعود ريعها لهذه المؤسسات لتوفير احتياجاتها(٨)، كما شهد هذا الوقف عناية السلاطين والأمراء، فبالإضافة إلى حبس الرزق من الأراضي الزراعية على المساجد والزوايا وغيرها من المؤسسات الدينية، كانوا ينعمون على بعض الناس بهذا الوقف مدعم بحجج شرعية على سبيل الإحسان والصدقة(٩) .

٢/الأوقاف الخيرية (الحكمية):

وهي الدور الموقوفة لصالح الحرمين الشريفين، من أجل الصرف المباشر عليهما، والخدمات العامة فيهما كإصلاح طرق الحاج، وما يلزمها من خدمات، وكذلك إنشاء المدارس والرباط، والبيمارستانات، وأيضا يخصص من ريع تلك الأوقاف للصرف على الفقراء والمحتاجين، والجانب الآخر من الأوقاف الخيرية فهو ما يصرف على جهات البر في سائر البلاد، فإما أن يخصص الواقف جهة معينة، أو يجعلها بشكل مطلق(١٠)، وهذا النوع من الأوقاف لقى انتشارًا واسعًا في مجتمع بلاد الشام بمختلف طبقاته، وقد انتشرت وجوه خير كثيرة(١١).

٣/ الأوقاف الأهلية (الذرية):

وهي مختصة بالصرف على الواقف نفسه، وأولاده من بعده، ونسلهم، وعقبهم، بحيث يستحق نفع الموقوف من أراد الواقف برهم من أقاربه، سواء كان شخصًا، أو جماعة معينة، ومما لاشك أنه يدخل في عموم الإحسان إلى الأقارب الذي أمر الله به(١٢)، كما اعتمد البعض في الأوقاف الأهلية في فترة عصر سلاطين المماليك على وقف ممتلكاته على نفسه، لتأمنه وتكون مصدرًا ثابتًا له في حياته، ويحافظ على ممتلكاته من المصادرة(١٣).

وقد استكثر سلاطين المماليك وأمراؤهم من الأوقاف على ذريتهم، وذلك تأمينًا لهم من عواقب الدهر، بعد زوال ملكهم ومناصبهم، فبنوا المدارس، والزوايا والربط وجعلوا عليها

الأوقاف المغلة، بنظارة أبنائهم، فعظمت الغلات، والفوائد، ونشطت من خلالها الحركة العلمية، حيث شدت الرحال لبلاد الشام والعراق والمغرب وغيرها(١٤)، وقد يشترط أو ينفى الواقف على صيرورتها النهائية كوقف خيري، مما يسهم بشكل أو بآخر في تنمية مؤسسات وموارد المجتمع.

٤/ الأوقاف الأهلية الخيرية (المشتركة):

وهي التي يمتزج الصرف فيها على الأقارب، وعلى جهات البر، فيخصص الواقف جزءًا من ريع الوقف على أشخاص معينين أو جهات معينة كالمدارس، والمساجد، والخوانق، وغيرها(١٥)، أو أن تؤول إلى جهات البر بعد انقراض ذريته المعنيين بالوقف، فيكون في البداية أهليًا ثم يتحول إلى خيريًا، أو يكون مشتركا بينهما، والهدف من لجوء الناس إلى نظام الوقف الأهلي الخيري (المشترك)، هو محاولة لتحصين أموالهم من المصادرات التي انتشرت خلال العصر المملوكي، فلم يكتفوا بتحصينها كأوقاف أهلية بل عمدوا إلى تدعيم استمراريتها، وحفظها بعيدًا عن أيدي العابثين، بجعلها مشتركة مع وقف خيري على جامع أو مدرسة، أو المؤسسات الخيرية، فلم يتجرأ أحد سلاطين المماليك بحل هذه الأوقاف إلا في حالات نادرة(١٦).

رابعا: ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك:

شهد عصر سلاطين المماليك ازدهارًا في نظام الأوقاف، حيث ساهم كثير من السلاطين والأمراء، والتجار، وغيرهم، أن يشاركوا بجزء من ثرواتهم في النهوض بالمجتمع، فأقاموا المؤسسات الخيرية المتنوعة، وجعلوها أوقافًا، ووضعوا الشروط لضمان حسن التصرف في ريع تلك الاوقاف بما يضمن استمرار تلك المؤسسات في تحقيق رسالتها، وقد ارتبط كل وقف من هذه الأوقاف بحجة شرعية توضح أركان ذلك الوقف، والغرض منه، وحجم، وكيفية الاستفادة من ريعه، ونوعية المستفيدين من الوقف وعددهم، والموظفين والخدم القائمين على رعاية شئون المؤسسة والوقف(١٧).

وكان لانتشار الأوقاف وازدهارها في العصر المملوكي أثرًا كبيرًا في تنوع ما يوقف، وما يوقف عليه تنوعًا كبيرًا، وأهم ما تم وقفه في عصر سلاطين المماليك: الأراضي الزراعية، والمباني، والقصور، والدور، والمدارس، ومكاتب الأيتام، والخوانق، والربط، والفنادق، والخانات، والسبل، والحمامات، والأفران، ومخازن الغلال، ومعاصر الزيوت ...إلخ(١٨).

كما تنوعت أيضًا الأغراض التي يتم الوقوف عليها، فكان ريع الوقف يؤول إما للواقف وذريته إذا كان الوقف اهليًا، أما إذا كان الوقف خيريًا فيؤول الريع الى اوجه الصرف وفقا لشروط الواقف، ومن هذه الأوجه: أرباب الوظائف، وطلبه العلم، وفقراء الصوفية، وعمارة المؤسسات، وشراء ما تحتاج إليه المؤسسة من أدوات لاستمرارها في أداء وظيفتها، ومن هنا

يتبين تنوعًا كبيرًا في مصارف الوقف بتنوع احتياجات المؤسسة، سواء كانت مؤسسات دينية، أو اجتماعية فهي ذات خصائص متنوعة، واحتياجات مختلفة، وكثرة ما تم وقفه، وما تم الوقوف عليه إنما يعكس مدى انتشار الأوقاف وازدهارها في هذا العصر(١٩) .

أما عن ناظر الوقف وهو الموكل بالإشراف على الاوقاف فكانت وظيفته هي عمارة الوقف والإجازة وتحصيل الغلة وقسمتها، ويتعين عليه المحافظة على الاعيان الموقوفة لاستمرار علتها والانتفاع بها ، كما ينبغي على الناظر عمارة الوقف وهو يعد أول واجباته، سواء اشترط الواقف بالنص عليه ام لم يشترط ذلك، كما يلتزم ناظر الوقف بتنفيذ شروط الواقف المعتبرة شرعًا والمنصوص عليها من قبله، وعلى الناظر أن يبذل كل ما في وسعه من جهد للحفاظ على أعيان الوقف، وحقوق الموقوف عليه سواء أكان ذلك بنفسه، أم بتوكيل من ينوب عنه في ذلك، وعليه فإن الناظر ملزم أن يدفع أجور وكلاء الدعاوى التي ترفع على الوقف، أو منه لجلب مصلحة له، أو دفع مضرة عنه ، كما يجوز لناظر الوقف الحق في إجازة اعيان الوقف، إذ رأى المصلحة في ذلك مع عدم وجود مانع يمنعه منها، وذلك لما تحققه الإجازة من إيراد، يصرفه الناظر على المصارف التي حددها الواقف، ومن التصرفات الجائزة لناظر الوقف: زراعة الأرض الموقوفة واستغلالها بما يحقق مصلحة الوقف والموقوف عليه(٢٠).

نظرًا لقدسية نظام الوقف كونه وفر حماية شرعية لكثير من المباني والدور والأراضي.. إلخ، قام البعض بشراء أراضي وعقارات من بيت المال ووقفها، وبذلك تحولت على التوالي من ملكية عامة إلى ملكية خاصة وفي النهاية وقف.

خامسا: نماذج من الأوقاف أثرت في الوعي الثقافي في عصر سلاطين المماليك:

أهتم سلاطين المماليك بإنشاء كثير من المؤسسات التعليمية، والتثقيفية، والتي أثرت بشكل ملحوظ في الوعي الثقافي للمجتمع المملوكي، ولعل أبرز هذه المؤسسات هي المساجد والمدراس والكتاتيب فضلًا عن البيمارستانات التي درست علوم الطب، حتى أنه لا يعرف على وجه الدقة عدد هذه المؤسسات في ذلك العصر من كثرتها، فقلما خلا حي من أحياء القاهرة، وباقي الأقاليم بل والحجاز وبلاد الشام أيضًا من المدارس المستقلة، بالإضافة إلى المدارس الملحقة في الجوامع، وانتشرت أيضا الكتاتيب التي خصصت لأطفال المسلمين عامة، وأيتامهم بصفة خاصة، وقد جعلت لتعليم القراءة والكتابة والحساب وحفظ القرآن والسيرة والسنة النبوية.

على أية حال أوقف المماليك ما لا يحصى من المدارس العملاقة والجامعات المتقدمة، والتي كانت مقصد الطلاب من كل حدب وصوب، فقد أنشأ السلطان الظاهر بيبرس(ت٦٧٦ه/١٢٧٧م) المدرسة الظاهرية(٢١) بين القصرين في القاهرة، وكانت هذه المدرسة

من أفضل المدارس وأعرقها، وقد حوت هذه المدرسة الجامعة على أقسام كثيرة من العلوم العقلية والنقلية، فضلًا عن دراسة القرآن الكريم، والحديث الشريف، كما حوت مكتبة كبيرة اشتملت على الكثير من مختلف أنواع الكتب، وأنشأت أيضا مدرسة ابتدائية لتعليم الايتام ولم يكتفى بذلك بل كان يعطى لهم وجبه منتظمة من الطعام، والخبز يوميا، فضلًا عن إعطائهم ملابس للشتاء والصيف، واقيمت احتفالية كبيرة عند افتتاح هذه المدرسة حضرها كبار رجال الدولة(٢٢) .

وفي عهد السلطان حسام الدين لاجين(ت٦٩٨ه/١٢٩٨م)، أهتم بإنشاء المدارس الموقوفة وأنفق مبلغ مالي ضخم على المدرسة الملحقة بالجامع الطولوني، وقد أعد فيه دروس تفسير، وحديث نبوي، ودروس فقه، ودروس للطب وشيخ ميعاد(٢٣) ، ومكتب سبيل لقراءة القرآن للأيتام(٢٤) .

وكما أنشئت أيضا المكتبات العامة، أو ما كان يسمى خزائن الكتب الموقوفة، ومن أهم هذه المكتبات وأكبرها مكتبة المدرسة المحمودية خارج باب زويلة بالقاهرة، والتي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الاستادار(٢٥) سنة (٧٩٧ه/١٢٩٧م)، وقد حوت هذه المكتبة كثير من الكتب المتنوعة(٢٦) ، ولم يقتصر الأمر على الأمراء والسلاطين بل كان كثير من الفقهاء وعلماء المجتمع الإسلامي في ذلك العصر يوقفون خزائن كتب متنوعة، أهمها وقف كاتب الإنشاء ناصر الدين شافع بن على بن عباس بن اسماعيل (٧٣٠ه/١٢٣٠م)(٢٧) فقد أوقف حوالي ثماني عشرة خزانة من كتب أدبية وغيرها(٢٨) .

أهتم المماليك أيضا بإنشاء المكتبات الموقوفة، وقد ساعد ذلك على انتشار المكتبات في ذلك العصر، وسعى طلبة العلم لاقتناء الكتب ونسخها أو استعارتها من المكتبات الموقوفة أو بشرائها، غير أن الاعتناء بالكتب فنيا من حيث النسخ والتجليد والتذهيب والحفظ وكذلك انتشار الأسواق المختصة بتجارتها أدى ذلك إلى نمو وثراء المكتبة الإسلامية، وأسهم ذلك بشكل كبير في تنمية الوعي الثقافي لهذا العصر(٢٩) .

فتنوعت المكتبات الموقوفة في عصر سلاطين المماليك، وكانت المكتبات ملحقة بالمساجد والمدارس، وكانت أيضا مكتبات شخصية، وحوت هذه المكتبات عدد كبير من الكتب في شتى أنواع العلوم والمعارف، وكانت هذه المكتبات لخدمة طلبة العلم ينهلون منها كيفما يشاءون، وأهم هذه المكتبات المكتبات التي ألحقت بالجامع الخضيري(٣٠)، وجامع قوص(٣١) وغيرهما(٣٢).

واقترنت المكتبة بالمدرسة في كثير من الأحيان في عصر المماليك؛ لذلك يندر أن توجد مدرسة ليس فيها مكتبة موقوفة عليها، و كـــان في المدارس مكتبات تحتوي مادة علمية يطلـــع عليها الطلاب، ويستكملون تعلمهم، وكان في المدرسة الفاضلية كثير من الكتب فـــي مختلـــف العلوم، وبالمدرسة والقبة المنصورية خزانة كتب تحوي كثير من أنواع العلوم، والفنون، وألحقت مكتبات أخرى بكل من المدرسة الناصرية، والمدرسة الحجازية وغيرها، فقد اشـــتملت مكتبـــة المدرسة الظاهرية مثلاً على أمهات الكتب في سائر العلوم، ومثلها مكتبة المدرسة الفاضـــلية ، وكان في مكتبة المدرسة والقبة المنصورية كتب الختمات الشريفة، وكتب التفسير، والحـــديث، والفقه، واللغة، والطب، والأدبيات، ودواوين الشعر(٣٣) .

ولا شك أن المكتبة المملوكية حفظت العلم والتراث العربـــي الإســـلامي مـــن الفقـــدان والضياع بعد حرق التتار لمكتبة بغداد، لذلك تحتوى مكتبات العلم الكبرى اليـــوم الآلاف مـــن المخطوطات المملوكية، التي لا يضياهيها عدد من عصر آخر، وتفوق كتب أي عصـــر مـــن العصور، وقد حظى الكتاب وهو مصدر المعرفة بالمنزلة العظيمة في قلوب أهل العلم بمختلـــف مشاربهم وميولهم الفكرية، فنال كثير من الاهتمام والعناية، ولم يقتصـــر الأمـــر علـــى إنشـــاء المكتبات العامة فحسب بل سعى كثير من الناس إلى إنشاء مكتبات كبيرة في منازلهم(٣٤) .

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها:

إن انتشار الأوقاف، والمنافسة بين السلاطين، والامراء، وغيرهم من الشخصيات الكبرى في عصر سلاطين المماليك على إنشاء المؤسسات الثقافية، والعلمية بأنواعها المختلفة قد ساهم في تنمية وتشكيل الوعي الثقافي للمجتمع المملوكي آنذاك، وقد كان ذلك انطلاقًا من مبدأ تشيجيع روح العلم، والثقافة لدى أفراد المجتمع ومن ثم الحرص على إنشاء تلك الأوقاف.

وقد لعب الفقهاء والعلماء دورًا بارزًا في ازدهار الأوقاف كنتيجة حتمية للنمو التنموي الثقافي في ذلك العصر، فكان موقف العلماء الرشيد في المحافظة على الأوقاف في حد ذاتها شجع الكثير على وقف ممتلكاتهم، فضلًا عن دورهم في تقوية المشاعر الدينية، فشجعوا الناس على وقف ممتلكاتهم.

وبذلك تكون الأوقاف قد قدمت خدمات جلية في مجال التنمية الثقافية، والفكرية من خلال تشييد صروح العلم، والثقافة، وتأمين الظروف المناسبة للفقهاء، والعلماء، والأدباء في محراب التأليف، والنشر، والتحقيق العلمي، والفقهي، والأدبي.

التوصيات:

إن موضوع الوقف الإسلامي محل اهتمام فكري وثقافي، وقد خضع هذا النظام في الآونة الأخيرة من العصر الحديث والمعاصر لكثير من السياسات الحكومية، والاجراءات الإدارية، والتي احدثت تغيرات جذرية في هذا النظام، وإن عودة الاهتمام بنظام الوقف، وإحداث تحولات مهمة تعيد مجد الأوقاف لما كانت عليه في عصر سلاطين المماليك، سوف تجني هذه التحولات ثمار علمية وثقافية من شأنها إحداث نهضة فكرية عميقة كما كانت في السابق، وتلك التحولات سوف تعيد الاعتبار للأنشطة الخاصة، وتشجع المبادرات الاجتماعية المستقلة في مجال الخدمات، والمنافع العمومية.

هوامش البحث:

(١) الطرابلسي(برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن على الحنفي، ت/٩٢٢ه/١٥١٦م): الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج، دار الفاروق، الأردن، الطبعة الأولي، ٢٠١٥م، ص٧.

(٢) سهام نصيف جاسم: الوقف الإسلامي في العصر المملوكي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد٢٥، العدد١، ٢٠١٨م، ٢٠١٨م، ص ٥١٥.

(٣) راغب السرجاني: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، دار نهضة مصر، الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م، ص٥.

(٤) راغب السرجاني: روائع الأوقاف، ص٩.

(٥) راغب السرجاني: روائع الأوقاف، ص٩

(٦) راغب السرجاني: روائع الاوقاف، ص٩.

(٧) شيخة بنت محمد الدوسري: أوقاف النساء في بلاد الشام وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي، مركز باحثات لدراسات المرأة، السعودية، الطبعة الأولي، ٢٠١٦م، ص١٠٩.

(٨)القلقشندي(أحمد بن على القلقشندي ت٨٢١ه/١٤٨١م): صبح الأعشى في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م ، ج١١، ص ٢٤٨؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ " الخطط المقريزية "، تحقيق: محمد زينهم و مديحه الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة،الطبعة الأولى، ١٩٩٨مج٤، ص٨٨.

(٩) القلقشندي: صبح الأعشى،ج٤، ص٣٩؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ه/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م، ج٩، ص٥٣.

(١٠)القلقشندي: صبح الأعشى، ج١١، ص٢٥٣؛ المقريزي: المواعظ والاعتبار،ج٤، ص٨٨.

(١١) ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، ج٢-٣، ص٢٨٦- ٢٨٧.

(١٢) شيخة الدوسري: أوقاف النساء، ص١١٦.

(١٣) حياة ناصر الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٣م، ص٦٣.

(١٤) شيخة الدوسري: أوقاف النساء، ص١١٧.

(١٥) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٤، ص ٨٩.

(١٦) شيخة الدوسري: أوقاف النساء، ص ١١٨،١١٧.

(١٧)محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الاولي، ٢٠١٤م، ص س.

(١٨) محمد محمد أمين: ازدهار الأوقاف في عصر سلاطين المماليك، بحث مقدم في المؤتمر الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، ١٤٢٢هـ، ص٢٥٧.

(١٩) محمد محمد أمين: ازدهار الأوقاف، ص ٢٥٨.

(٢٠) محمد صالح: الوقف في الشريعة الاسلامية، ص ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١.

(٢١) المدرسة الظاهرية : أنشأها الملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها سنة إحدى وستين وستمائة، وتمت في أول سنة اثنتين وستين، ورتب لتدريس الشافعية بها تقي الدين بن رزين، والحنفية محب الدين عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم، ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطي، ولإقراء القراءات بالروايات كمال الدين القرشي، ووقف بها خزانة كتب. (عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ، مصر الطبعة الأولى، ١٩٦٧ م، ج٢، ص٢٦٤.

(٢٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٧، ص١٠٨؛ راغب السرجاني: روائع الأوقاف، ص١٣٤.

(٢٣) الميعاد: درس ديني للوعظ والإرشاد والحث على التقوى القلقشندي: صبح الاعشى،ج٣، ص٣٨٠.

(٢٤) راغب السرجاني: روائع الأوقاف، ص١٣٦.

(٢٥) لقب يطلق على من يتولى قبض المال السلطاني وصرفه، وتمثيل أوامر السلطان فيه. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولي، ١٩٩٠م، ج١، ص ١٥.

(٢٦) المقريزي: المواعظ والاعتبار، ج٣، ص٥٢٠، ٥٢٣.

(٢٧)هو الشيخ الإمام الأديب ناصر الدين شافع بن علىّ بن عباس بن إسماعيل بن عساكر الكنانىّ العسقلانىّ ثم المصرىّ سبط الشيخ محيى الدين بن عبد الظاهر، وتوفي ٧٣٠هـ، مولده في سنه ٦٤٦هـ، وكان يباشر الإنشاء بمصر ودام على ذلك، إلى أن اصيب بالعمى، وظل ببيته حتى وفاته، وكان إمامًا أديبًا فاضلًا ، خلّف ثماني عشرة خزانة كتب نفائس أدبية وغيرها.(ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٠٧.)

(٢٨) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٩، ص٢٠٧.

(٢٩) عمار محمد النهار: الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، بحث بجامعة دمشق، ٢٠١١م، ص٨.

(٣٠) هو جامع الخضيري بقلعة الكبش بطولون أمام مدرسة ضرغتمش وسمي هذا الجامع بهذا الاسم نسبة إلى الشيخ الخضيري المتوفي سنة ٩٦٥ه.(سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، الطبعة الأولى، ١٩٧١م، ج٥، ص١١٣.)

(٣١) الأدفوي: الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م، ص ٥٨١.

(٣٢)عمار النهار: الأوقاف، ص٨.

(٣٣) عمار النهار: الأوقاف، ص٩.

(٣٤) عمار النهار: الأوقاف، ص ٨، ٩.

ثبت المصادر والمراجع:

أولًا: المصادر العربية:

_ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ه/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، الطبعة الثانية، ٢٠٠٥م.

_ ابن فضل الله العمري، شهاب الدين أحمد بن يحيى (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م): مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق: مهدي النجم، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.

_ الأدفوي: الطالع السعيد الجامع اسماء نجباء الصعيد، تحقيق: سعد حسن، الدار المصرية للتأليف والترجمة، ١٩٦٦م.

_ المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بـ " الخطط المقريزية "، تحقيق: محمد زينهم و مديحه الشرقاوي، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

_السيوطي: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ): حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم دار إحياء الكتب العربية ، مصر الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

_الطرابلسي(برهان الدين إبراهيم بن موسى بن أبي بكر بن على الحنفي، ت/٩٢٢ه/١٥١٦م): الإسعاف في أحكام الأوقاف، تحقيق: صلاح محمد أبو الحاج، دار الفاروق، الأردن، الطبعة الأولي، ٢٠١٥م.

_القلقشندي(أحمد بن على القلقشندي ت٨٢١ه/١٤٨١م): صبح الأعشي في صناعة الانشا، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٢٢م.

ثانيا المراجع العربية:

_ حياة ناصر الحجي: السلطان الناصر محمد بن قلاوون ونظام الوقف في عهده ، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٩٨٣م.

_ سعاد ماهر: مساجد مصر وأولياؤها الصالحون، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، ط١، ١٩٧١م.

_ شيخة بنت محمد الدوسري: أوقاف النساء في بلاد الشام وأثرها في الحياة العامة خلال العصر المملوكي، مركز باحثات لدراسات المرأة، السعودية، الطبعة الأولي، ٢٠١٦م.

_ محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولي، ١٩٩٠م.

_ محمد محمد أمين: الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، دار الكتب، القاهرة، الطبعة الأولي، ٢٠١٤م.

الدوريات:

_ راغب السرجاني: روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية، دار نهضة مصر، الجيزة، الطبعة الأولى، ٢٠١٠م.

_ سهام نصيف جاسم: الوقف الإسلامي في العصر المملوكي، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية، مجلد٢٥، العدد١، ٢٠١٨م، ٢٠١٨م.

_عمار محمد النهار: الأوقاف الإسلامية وأثرها على النهضة العلمية في عصر المماليك، بحث بجامعة دمشق، ٢٠١١م.

_محمد محمد أمين: ازدهار الاوقاف في عصر سلاطين المماليك، بحث مقدم في المؤتمر الأول في المملكة العربية السعودية، جامعة ام القرى، ١٤٢٢هـ.